الفلسفة التوفيقية عند جوزايا رويس

كمال ذويبي

ماجيستر فلسفة ، قسم الفلسفة، جامعة وهران 2

الفلسفة التوفيقية

اولا:مجالات التوفيق في فلسفة رويس

يعد "جوزايا"رويس"[1]، من بين كبار المثالية في القرن التاسع عشر، في كونه قدم محاولة منه في العديد من كتبه خاصة الجانب الديني للفلسفة" للتوفيق بين الفلسفة والدين ودفاعا عن الفلسفة، وفي الوقت نفسه مؤكدا على عقلانية الدين، إلا أن التوفيق بين الدين والفلسفة تعتبر قضية قديمة، فقد مارس فلاسفة الإسلام عملية التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين الإسلامي، كما حاول فلاسفة المسيحية تعقيل الإيمان، إلا أن أهمية الفلسفة التوفيقية أو كما يطلق عليها "التلفيقية" لدى"رويس" تكمن في أنها جاءت في وقت اتجهت فيه الفلسفات المعاصرة إلى رفض الميتافيزيقا، ومنها فقدت الثقة في الدين التقليدي، خاصة بعد معانات الإنسان من الفساد والحروب، وانتشر الشك في كل شيء مقدس أو ديني، وسادت روح الفردية والانانة، وطغت الروح المادية كما كثرت النزعات الإلحادية وانقسم الفلاسفة إلى قسمين، منهم من جعل الفلسفة والمذاهب الجامدة والميتافيزيقا مسئولة عن هذه الفوضى التي بلغ إليه العالم، ومنهم من اتهم الأفكار الدينية التقليدية لجمودها وتخلفها، ومن هنا يحاول "رويس" أن يقدم لنا نموذجا معاصرا لكيفية معالجة الصراع، وكما يرى أحمد الأنصاري أن هذا التوفيق الرويسي من الممكن أن يساهم في إلقاء الضوء على الصراع القائم بين المفكرين العرب المحدثين، في كيفية الإصلاح والتطوير لمجتمعاتهم، فهناك من يرى أن في العلم والعقلانية وتجنب الدين طريقا للإصلاح.وهناك من يرى أنه لا تقدم إلا بالعودة إلى الأصول وإحياء الماضي والسير على نهج الأقدمين، وهناك اتجاه ثالث يطالب بالتوفيق بين الاتجاهين السابقين، ولعل هذه الفلسفة الرويسية قريبة جدا من الاتجاه الثالث، وكأن هناك آمل كبير في الإصلاح والتطور[2].

وإذا كان التوفيق عند رويس" لا يعني رد الدين إلى الفلسفة أو رد الفلسفة إلى الدين أو استبدال أحدهما بالأخر، وإنما بيان كيف يمكن القيام بالتوفيق بينهما، والتأكيد على أهمية كلاهما للتعبير عن جوانب الحياة النفسية والروحية، وبالتالي ظهرت عدة تساؤلات في هذا الصدد **فهل جاء التوفيق لصالح الفلسفة أم لصالح الدين؟ وهل يستوعب الدين الفلسفة، وهل تستطيع الفلسفة أن بتطابق مفهومها مع مفهوم المطلق الذي قالت به المثالية مع مفهوم الله،**

وهل يمكن أن تقدم الفلسفة المثالية حلا لعلاقة الإنسان بالله ويحقق للإنسان حريته واستقلاليته؟،

وهذا ما يحاول رويس" الإجابة عليه ويحاول أن يقدم لنا توفيقا أكثر ما نستطيع القول عليه انه مثالي برغماتي ومنطقي في نفس الوقت، حيث أظهر لنا هذا التوفيق في مجالات عديدة نذكر منها المطلق الطبيعة والإنسان والأخلاق وهو ما سنقوم بتحليله موضحين مواضع أو مجالات التوفيق في فلسفة رويس هذا من جهة، وأين يكمن كل من التوفيق بين الفلسفة والدين، وكذا البرغماتية والمثالية من جهة أخرى.

أ– المطلق

يعد المطلق من مجالات التوفيق بين الفلسفة والدين عند"رويس"فيبدأ بعرض أدلة وجود المطلق، حيث يحاول تقديم عدة أدلة على وجوده، أولها الدليل المعرفي فيبدأ "رويس" بالبحث عن معنى الخطأ وطبيعته، فيرى أنه لا حاجة لإثبات وجود الخطأ، فالخطأ واضح من خلال تجارب الحياة اليومية، وإذا ما تم الشك في ذلك، فإن الشك نفسه يثبت وجوده، فيفترض وجود الشروط المنطقية للخطأ أي التي تجعل الخطأ ممكنا، فالخطأ هو الحكم الخاطئ أو الحكم الذي ينفر منه الفرد ولا يحبه، ويعرفه "رويس" تعريفا أخر بأنه الفكر الناقص، يكون معرفا للفكر الأعلى الذي يشمله موضوعه المقصود، ويعرف فشله في الموضوع الذي يقصده، من هنا كان لا بد من وجود فكر شامل كلي، لا متناه أي "المطلق"[3].كما يقدم لنا رويس"دليلا ثانيا وهو الدليل الأخلاقي، حيث يستند هذا الدليل لإثبات وجود الله، على القيم الأخلاقية والمثل العليا، واعتبار الضمير الأخلاقي دليل على وجود الله، فالله موجود وخير، وعلة وجوده المثل العليا، كما أن وجود الشر لا يعني عدم خيرية العالم، بل يعد دليلا على وجود فكر شامل والذي هو المطلق.بالإضافة إلى هاذين الدليلين هناك الدليل الكوني، حيث يستند هذا الدليل

لإثبات وجود الله على وجود العالم وملاحظة ما يوجد في العالم من جمال ونظام ووحدة، فمعرفة العالم والحديث عنه لا يتم بدون وجود"الفكر الشامل"أي اللامتناهي والذي يقصد به إحدى صفات المطلق[4].

كما ينتقل"رويس" للتفرقة بين صفات المطلق وأوصافه فيقر "رويس" أنها تظهر من عدة جوانب، فإذا كانت هناك تفرقة بين أو صاف الله فإن الوجود يعد أحد أو صاف المطلق، كما يقدم لنا في هذا الدليل الأنطولوجي ما يسميه بصور الجهل الإنساني، فإذ كان الفرد لا يعرف حقيقة الوجود المطلق، فان هذا يؤدي إلى اعترافه بأنه يدرك معنى الوجود المطلق، كما جاء وصف المطلق "اللامتناهي" أو"الأبدية"، فهناك الذات اللامتناهي، والعقل اللامتناهي، فاللامتناهي صفة ضرورية ومنطقية للحقيقة وللمطلق أيضا، ولكي لا تكون المثالية فلسفة نظرية بحتة، فانه يكفي وجود عارف لا متناهي للعالم الطبيعي، كذالك من أو صاف المطلق "الوعي الذاتي"، ويشرح "رويس"طبيعة الوعي الذاتي للمطلق من خلال شرح طبيعة الوعي الذاتي للذات المحدودة والخلوقة، فيرى أن كل أخلاقي موصوف بأنه"موجود" وانه"واعي"وهو ما يربطه"رويس" بعلم النفس التجريبي، وكذا مجموعة من الاعتبارات الأخلاقية والميتافيزيقية، بلاضافة إلى الدليل الذي يسميه"رويس"الدليل الشخص" فكما أن معرفة الإنسان لذاته تتضمن الاعتراف بوجود المطلق "كشخص"حيث يدرك الإنسان في كل مرة ذاته، أو في العالم الخارجي أنه لكي يكون "الأنا اللحظية" لابد أن يكون على صلة بشخص مفكر كامل، بلاضافة أيضا إلى هذه الوصاف يضيف رويس"صفة "الوحدانية"، فعندما يقوم الفكر بربط الأفكار الجزئية في لحظة واحدة من لحظات الوعي فلابد إذن أن يكون هذا العقل الكلي واحدا وهو ما يسميه "رويس" الله، أو اله الفكر المثالي منذ "أفلاطون"، يستخدم مصطلح المطلق أحيانا عند"رويس" كأساس للعالم، طالما انه ليس هناك نهاية الأحداث للعالم فالعالم عالم الله وعالم الإنسان وبالتالي أو صاف جوهرية تميز المطلق عن الفرد والعالم[5].

أما إذا انتقلنا من الأوصاف إلى الصفات فإن أو ل صفة من صفات المطلق هي العلم فلا يبرر لنا رويس" سبب وصف المطلق بالعلم فأمثلتنا كما يرى رويس" تعبر عن معادلة رياضية لكل صفات المنحنى، أي الفكر، كما تقوم الدالة بتصوير العقل اللامتناهي فإنجازات العلم تقدم لنا صورة باهتة لكمال الفكر المطلق[6]، بل يبحث عن النتائج المنطقية التي يمكن أن تترتب على وصف المطلق بهذه الصفة، فإذا كانت من طبيعة الأفكار الإنسانية أن تأتي مفككة فإن أفكار وخبرات المطلق تكون مترابطة ومنظمة، ثم تأتي الإرادة كصفة ثانية مستنتجة من صفة العلم ومتصلة بمفهوم الخبرة المطلقة فإذا كان الانتباه إحدى عناصر الإرادة فإنه يعد قادرا على جعل الوعي الذاتي مكتملا ومطلقا، بلاضافة إلى صفة ثالثة وهي"المحبة"التي استنتجها"رويس" من صفة الإرادة فإذا كان الانتباه عنصرا كامنا في الإرادة، ويتصف الوعي المنتبه بالإرادة فإن طبيعة الانتباه تظهر صفة المحبة كصفة ضرورية لهذا لذا الوعي[7].

وهكذا يرى"رويس" أن العقل الإلهي حقق لنا كل ما كنا نسعى لتحقيقه من الناحية الأخلاقية، لأن البصيرة والإرادة لا يمكن أن تتحقق بفعل أي قوة من القوى، وإن تحققت يكون تحققها لحظيا فقط، حيث يكتمل شيء مكتمل منذ الأزل فتكون البصيرة حاضرة، "**وتحصل الإرادة الكلية على مرادها.ومن هنا يتحقق الانتصار الأبدي، حيث كل شيء متحقق تحققا كاملا"مطلقا"**[8]، إذن المطلق موجود ليس كمسلمة لكن كواقع، فهو روح لا متناهية يختلط بها كل شيء.وهذا الاختلاط في الروح اللامتناهي ألا يجعل من غير الممكن دحض"الأحادية"، إذن ألا أكون ببساطة في طريقي لان أضيع في مملكة أفكاري؟، هذا هو السؤال الذي طرحه "رويس" في روح الحداثة الفلسفية، ويجيب:"**لا لأنني إذا سلمت بأن الأرواح الأخرى التي تكون العالم الواقعي الخارجي لها ماهية مع "أناي" الخاصة، في هذه الحالة تصبح كل روح هي "أنا داخلي"**[9]، أي تداخل الأرواح بين علاقتها مع الأنا الخاص والأنا الداخلي فما دامت في هذه الحالة لها علاقة مع أناي الخاص يستلزم بالضرورة أنها في الأنا الداخلي.

ب: الطبيعة

يعرض "رويس" في تعريفه للطبيعة بالنظر إلى التعاريف الشائعة والمختلفة، فهناك من يعرف الطبيعة على أنها كل ما يقع تحت دائرة الحس، وتدرسه العلوم التجريبية وهو تعريف غير دقيق فما تقدمه التجربة يكون عبارة عن فكرة في عالم الوجود، وأحيانا يتم تعريفها بوضعها مقابل العقل، ويتم المقارنة بين العمليات العقلية والعمليات الطبيعية، لكن هذا التعريف لم ينظر إلى أن الطبيعة ماهي إلا تعبير عن عقل أو عمليات عقلية، كما أن هناك تعريف ثالث يضع الطبيعة في مقابل الإنسان، وان كان الإنسان جزء من الطبيعة فإن موضوع الطبيعة ذاته يعد مفهوما ومعتقدا إنسانيا.كما نجد تعريف رابع يعتبر الطبيعة عالما منفصلا عن التجربة الشخصية ويضعها بين الإنسان والمطلق، ويرى

"رويس" أن هذه التعريفات لا تخلو من التناقض لذا فإن البحث عن معنى الطبيعة أو المقصود بها لا بد من دراسة الدوافع التي أدت إلى وجود المادة، وإلى الاعتقاد في وجود قوانين للعمليات الطبيعية[10].

ويعتبر مفهوم الطبيعة مجالا من مجالات الفلسفة الذي يظهر التوفيق فيه بين الدين والفلسفة وكذا التوفيق بين مختلف الفلسفات والقيم، ويرى"رويس"انه دائما ما يتم الفصل بين الطبيعة الاجتماعية والطبيعة المادية، فيدرك الإنسان من جهة الطبيعة بوصفها سلسلة من الظواهر الموضوعية المرتبطة بالقوانين الثابتة أي عالم الوصف.ويدرك من جهة ثانية العالم الاجتماعي بوصفه عالم العمليات الإرادية الواعية، أي عالم الأفراد وعالم التقدير، ويوضح لنا رويس" أن الطبيعة الواعية تشارك الطبيعة المادية في عمليات أربعة، أي أن هناك صفات مشتركة بين العقل والمادة فلأولى أن الطبيعة المادية من الممكن أن تكون مظهرا لعملية تغير وتحول باطني، مثل العمليات العقلية.كما يتضمن كلا الجانبين للطبيعة عملية اتصال بالأجزاء الأخرى، فتتجه الأفكار في الوعي الذاتي إلى التواصل مع الأفكار السابقة.وثالثا نجد أن العقل والمادة يتشابهان في العمليات العقلية المسماة"بالعادات"، أما العملية الرابعة فتكمن في التشابه بين الجانب الواعي والجانب اللاواعي في الطبيعة، ويفسر رويس" أن التناقض الموجود بين المادة والعقل جاء نتيجة المبالغة في دقة النظريات العلمية، مما أدى إلى اعتبار المادة جوهر ثابت، كما يؤكد على أنه لا توجد طبيعة لا واعية أو مادية، وإنما توجد طبيعة صامتة[11]. ولقد أدى اهتمام العلم بالنظريات المثالية الكاملة إلى محاولة إدراك إيقاعات الطبيعة الناقصة، بوصفها حالات خاصة للقوانين المثالية، تبين لنا أن الطبيعة التي نلاحظ إيقاعاتها تتجه إلى الثبات النسبي[12].

ويرى رويس أن الإنسان عبارة عن جزء من خبرة واعية محدودة، وذات فترة زمنية أطول من الوعي العادي عند أفراد الإنسان، كما يلاحظ"رويس" أن الاعتقاد في وجود الآخرين يسبق الاعتقاد في وجود الطبيعة، ولا يتم الاعتقاد في وجودهم من المماثلة بين ما يحدث في الذات، بل إن الذات تعتقد أو لا وتعرف وجود الآخرين قبل أن تعرف نفسها.وإقرار رويس للتشابه الموجود بين العقل والمادة أو بين الوعي الإنساني والطبيعي أنه ماهو إلا دليل على اقترابه من أنصار المذهب المادي، الذين يصفون المادة أو الطبيعة بأنها تتميز بالحركة والقوة والتنوع والتفكير، ولا يقرون بوجود جوهر روحي مستقل عن المادة، كما يؤكد أيضا أن وعي الطبيعة يسعى لتحقيق المثل العليا، فهو لا يقل درجة عن الوعي الإنساني[13].

ج- الإنسان

مفهوم الإنسان هو ثالث المفاهيم الذي يظهر التوفيق فيه في فلسفة"رويس"، سواء التوفيق بين المثالية والبرغماتية، أو بين الدين والفلسفة والعلم، وقبل الخوض في مجالات التوفيق لابد من دراسة مفهوم الإنسان وطبيعته، حيث يعتبر"رويس"أن الفهم الحقيقي للإنسان وقيمته في الكون تبدأ بدراسة النفس الإنسانية ثم دراسة صلتها بالواقع وبالطبيعة وبالمطلق، فيقم لنا عدة تعريفات للذات الإنسانية، منها من يرى أن الذات الحقة للفرد هي ما يعبر عنه الأنا التجريبي اللحظي الذي يدركه الفرد مباشرة، ومنها من يعتبرها أنها جوهر روحي يحل في البدن، ومنها من يقسم النفس إلى قسمين سفلى وعليا أو طبيعية وروحية، [14]، فهذه التعريفات يرى"رويس" أنها متناقضة في معظم الأحيان، وهذا التناقض يرجعه رويس إلى الذات النفسية نفسها، أو الحياة الباطنية للطبيعة كلها أو عن النظام الأخلاقي الذي يحوي هذه النفوس وتلك الحياة الباطنية، ومن هنا فإنه لايمكن معرفة الأنا الحقة إلا بالتعالي على حياتها اللحظية، ومن التفسير العميق لهدفها الأخلاقي ومثلها الأعلى، كما يعتمد على المفهوم الرابع للوجود لكي يوضح وجود النفس وطبيعتها، فتؤكد نظريته المثالية التي صاغها على أن الفرد يشعر بالتقابل بين"الأنا"و"اللاأنا"، أي بين المعنى والهدف أو بين الداخل والخارج أي أن النفس كما صاغها"رويس"تكون بالمعنى الضيق هي الفكرة، التي ينظر إليه اكمعنى داخلي، ويكون اللاأنا هو كل باقي الحياة الواعية أي العالم الخارجي من هنا يمكن أن تكون كل فكرة محدودة "ذاتا"، كما يستطيع الفرد مقارنة الأنا الحاضر مع خبرات ماضية أو مستقبلية، أو مع أي "أنا" أو المجتمع ككل، أو مع الحياة الواعية التي ينتمي إليه الإنسان، لذلك لا يوجد مبدأ عقلي واحد ثابت وراء الأنا.فإذا ما أراد الإنسان انتقاء خبرات معينة ماضية أو مستقبلية يتوحد بها الأنا الحاضر ويشكل ما يعرف بذاته الإنسانية الخاصة[15].

ويتضح من التفسير السابق لطبيعة الأنا، أن هناك مرحلتين أو نمطين فهناك الذات"الواسع التجريبي"وهناك"الذات المثالي"، الأولي نتج من المقارنة بين الأنا الحاضر للفرد وخبراته الماضية والمستقبلية، أما الأنا المثالي أو الذات المثالي فينتج من المقارنة بين هذا الأنا الأوسع واللاأنا الخارجي.فالذات الحقة ليس جوهر روحيا في الإنسان، بل أن الإنسان هو الذي يحدد ذاته ويخلقها، ويؤكد رويس" من خلال الأنا المثالي أن

الذات لا يمكن معرفتها أو الوعي بوجودها وتميزها على الآخرين مباشرة، فالنفس المثل الأعلى ومكانها الحقيقي في العالم الأبدي حيث تتحقق كل النفوس والخطط والمثل العليا، ففي الله فقط يعرف الفرد ذاته الحقة ويدرك كيانه ووجوده الحقيقي[16]، فتظهر المثل الأبدية في تفسير"أفلاطون"لعملية تحرر النفس من طبيعتها الدنيا، باعتبارها المصدر الإلهي للحقيقة، ولا تعني الطبيعة للروح شيئا إلا تأمل كمالها الناقص[17].

من خلال هذا التحليل يتضح انه إذا كانت قيمة الإنسان تكمن في"الأنا"، وبالتالي فإن إشكالية وجوده تعد الإشكالية الحقة للوجود الإنساني، ويحاول رويس" الإجابة على هذا التساؤل موضحا أن حرية الفرد واستقلاله يستند إلى العالم الذي يحيا فيه بحيث يحقق هدف محدد ومطلق، كما يحقق الإرادة الإلهية .كذالك إذا كان الأنا يشعر بوجوده من خلال مقرنته مع الآخرين، ويحقق هدفه بالتباين معهم، من هنا فإن إرادة الفرد تعتمد على المجتمع والطبيعة والنظام الزمني لكي تحقق ذاتها، كما يؤكد رويس من ناحية أخرى على وجود تشابه بين علاقة المطلق بنفوس الأفراد، وبين علاقة الأنا الفردي الواسع بحياة تمثل مجموعة من النفوس المحدودة الجزئية، لذالك لا بد لكل ذات جديدة تظهر في الزمان، أن تجد مكانها داخل ذات أو سع وأشمل[18]. فلا يستطيع الإنسان بهذا المعنى تحقيق الخلاص وتجهيز القلب، وهو ما يكد رويس في قوله"**فليس الذات الأعلى ذاتي على الإطلاق، وإنما تتجسد من خلال صراع الروح مع الجسد فالله مصدرها، فهي تأتي للإنسان مثل العقل الخلاق لدى أرسطو ولا تنتمي إليه وإنما إلى الله**"[19].

أما عن علاقة الإنسان بالطبيعة، فهي علاقة تعطي تفسيرا لنشأة وظهور النفوس الجديدة، فإذا كانت نظرية التطور تقرر لنا أن الإنسانية قد نشأة من كائنات غير إنسانية، وهذا ما يدافع عليه"رويس"بالاعتماد على التناظر بين الوعي الإنساني والوعي الطبيعي، فمثلما يظهر لدى الفرد أفكار وخطط جديدة في الوعي الإنساني، كذالك تظهر أنماط جديدة من الوعي في الطبيعة، والمقصود بالنمط الجديد هو إيجاد وسيلة للتعبير الذاتي أو "الذاتية الجديدة، "**وكما يظهر نوع جديد من الذاتية في "الأنا التجريبي"كذلك تظهر النفوس والإنسانية في الطبيعة"** وهو ما تؤكده ملاحظة أنماط الحياة في الطبيعة على وجود تطور تدريجي لسلسلة من الأنماط الجديدة لأنماط قديمة فيتمثل التوالد الوراثي إتحادا جنسيا لخلايا سابقة.وتكسب الخلية الجديدة صفاتها من صفات الآباء، فيكون المولود حلقة جديدة من سلاسل الصور الممكنة للنوع، ويشبهه"رويس" بعملية المحاكاة التي تظهر في الوعي الإنساني ويرى"رويس" **أن الإنسان قد يكون ظاهرة طبيعية، ويخضع وجوده للتفسير العلي، ولكن رؤيته لذاته ولمثله الأعلى لايكون خاضعا لذلك التفسير العلي، ومن هنا يكون الإنسان كائنا حرا**"[20].

ويتجه"رويس"لشرح العلاقة بين الله والإنسان، من خلال توضيح طبيعة الحياة الإلهية ومسألة خلود النفس فإذا كان للنفس وجودها الفردي الذي يعبر عن إرادة الله، فإن لها أيضا هدفها الأبدي، كذلك لما كان جوهر الأنا الأخلاقي يتطلب واجبات ومسؤوليات، يتم بها خدمة الله، فإن ذلك يؤدي إلى افتراض أن الأنا لا يتحقق كماله إلا في الله، وفي الأبدي، وتلك أو ل صيغة لمعنى الخلود الإنساني، ويبرهن"رويس على ذلك بأن الأنا الأخلاقي يكسب وجوده وحريته من كونه فردا وتجسيدا فريدا لنمط فريد من الذاتية، وبالتالي يظل التفرد مجرد مسلمة يتطلبها الوعي الخلقي، وطالما أن الأنا مقولة أخلاقية فإن من عادة الواجب الخلقي عدم التوقف، أو الانتهاء في أي حقيقة زمنية من هنا يكتسب الواجب الخلقي حياة جديدة، كلما حاول الانتهاء منه، ولذلك ليس هناك فعل أخلاقي أخير، فلابد إذن من خلود النفس.كما أن اتحاد الإنسان مع الله يتطلب بالضرورة حياة فردية خالدة، أما عن ظاهرة الموت، فيرى رويس أنه عندما يموت الإنسان، فإن الموت يكون ممكنا فقط، لذلك فإن إمكانية وجود الموت كواقعة ميتافيزيقية، وفي عالم تعبر وقائعه عن وعي ما، يستند إلى حقيقة واحدة وهي أن من يفنى دون تحقيق هدفه يحيى في العالم الأبدي، باعتباره فردا ليرى أن هدفه تحقق أخيرا في حياة لاحقة[21].

ثانيا: التوفيق بين المثالية والبرغماتية

أ–في مجال الأخلاق

يظهر الاتجاه التوفيقي في الأخلاق بين المثالية والبرغماتية، بالرغم من وجود فرق بينهما، في مجال الحكم على الفعل الأخلاقي، فالخير عن المثاليين يتطابق مع الوجوب وعند البرغماتيين يتطابق مع النتائج، يربط "رويس"الأفعال الخيرة والشريرة، بآثارها عن العالم، سواء عالم الفرد أو العالم ككل.فيستطيع الفرد أن يجعل عالمه أسوء أو أفضل طبقا لانتباهه للواجب السابق معرفته، فإذا جاء الانتباه للواجب، جاء عالمه أفضل أو أسوا، فيتضح هنا الربط بين الواجب والنتيجة، فالواجب سابق النتيجة[22]. وقام بتفسير للحرية الأخلاقية، أي أنه ليس حرا

من اختار أو رفض وجود الآخرين، ونجد هذه الآراء الرومانسية والوجودية في موقف"رويس" من الخطيئة"، وان كانت مسؤولية الفرد ليست قاصرة على أفعاله، فيقوم بصيغة الآراء الوجودية صبغة فلسفية، فيقترب من الاتجاه الوجودي المؤمن، ومثلما كان المطلق يعاني مثلما يعاني الإنسان، فان رويس" يصبح من أنصار الشخصانية.

ب– في مجال المطلق

نلاحظ من خلال هذا العرض السابق لمفهوم ولأدلة وجود المطلق وصفاته، أن التوفيق يظهر جليا بين المثالية والبرغماتية، فمفهوم الله عند"رويس"جاء معبرا إلى حد كبير عن إله الفلسفة وإله المسيحية، فإذا كان الإنسان يدركه من خلال معرفة الصواب والخير ومن مراقبة الوعي الباطني، ومن مراقبة العمليات الفكرية للوعي فهو إله المثالية.وان كان يتصف بأنه موجود ولا متناهي وشخص فهو إله المسيحية، والحقيقة إن المفهوم جاء معبرا عن مفهوم الله كما ظهر عند أصحاب الفكر المثالي والفكر البرغماتي هذا من جهة، وكما ظهر في اللاهوت المسيحي القديم والحديث من جهة أخرى.فيقترب المفهوم إلى إله ديكارت طالما يكشفه الإنسان في الشك المعرفي ويعتبر إله فيشته"لان كل شيء يرد إلى الوعي الذاتي والواجب الخلقي .وإله"شلينغ"، لأنه وحدة الفكر والطبيعة.ومطلق "هيغل"لأنه يعبر عن نفسه ويحمل التناقض.وعلة "شوبنهور"طالما انه يحمل إرادة كلية.وإله "كانط"لان مجرد الاعتراف بالجهل الإنساني يؤدي بوجود الحقيقة المطلقة.أما عند"رويس" فإن اعتراف الإنسان بجهله وإثباته له دليل على وجود المطلق.وإله البرغماتية طالما أن الله يكتسب مشروعية وجوده من حاجة الإنسان للحرية والراحة، وبالتالي يصبح تصوره ومفهومه معبرا عن الفكر المثالي البرغماتي[23].

كما استند"رويس"في جدله لإثبات المطلق على فكرة الجهل والاعتراف به، وكذا اعتماده على الخبرة الغير مباشرة، فمن الواضح إذن انه اعتمد على الذات الإنسانية لإثبات وجود المطلق، وكأنه يستخدم النهج الديكارتي في قضيته"انأ أفكر أنا موجود"، والانتقال من إثبات وجود الذات إلى إثبات وجود الله، وكأنه استعمل المثالية الذاتية أو مذهب "الانانة"أي المذهب الذاتي الذي يرد كل شيء إلى الذات، إلا أنه دائما ما يصف مثاليته بأنها مثالية مطلقة[24].

ج– في مجال الطبيعة

تبدوا نظرية"رويس"في الطبيعة ماهي إلا صورة من صور محاولات التوفيق بين المثالية الألمانية(كانط شلينغ)والبرغماتية الأمريكية(تشارلز بيرس) ويظهر ذالك في عدة نقاط نجدها كدليل محكم ومنطقي على هذا التوفيق، فإذا تم النظر إلى تعريف"رويس" إلى الطبيعة فإنه يكشف لنا انه تعريف تقليدي، وليس جديدا في تاريخ الفكر الفلسفي، فإذا كان "أفلاطون" قال بعالم الظاهر والباطن، وقال "كانط" بالأشياء كما تبدو لنا وعالم الأشياء في ذاتها أي "النومان" و"الفينومان"، فان"رويس"قد بني نظريته للطبيعة على تلك النظرة الثنائية، فهناك الطبيعة كما يدرسها العلم، أو عالم الوصف، وهناك الحقيقة الباطنية للأشياء، والتي أعتبرها"رويس"خارج نطاق المعرفة العامية أو المعرفة العلمية، وكأنه يقر بالثنائية الكانطية، وبدلا من القول بعالم الأشياء في ذاتها"الفينومان"، أو العالم الخفي وراء الظاهر، قال بوجود وعي محدود وراء أحداث الطبيعة، لأن وعي الطبيعة يعبر عن وعي يشابه الوعي الإنساني، كما يتفق تفسير رويس للطبيعة مع فكر"شلينغ" فالطبيعة ماهي إلا تعبير عن وعي، وأن هناك مصدر واحد للأنا والأنا[25].

ونجد أن "رويس" لم يقل بمبدأ الهوية أو وحدة الأنا والطبيعة، بل فسرها إثباتا لمعقوليتها، ولوجود وعي ورائها يشبه الوعي الإنساني، وكلاهما يدلان على وجود عقل مطلق ورائها، ومن هنا يظهر لنا جليا أن رويس"البرغماتي الأمريكي حاول مشاركة **المثاليين** الألمان في حل الإشكالية الكانطية، المتمثلة في القول بوجود عالمين أو في الفصل بين النظري والعملي، كما تتفق نظريته للطبيعة مع آراء "تشارلز بيرس"في أن الطبيعة، ظهرت نتيجة اتفاق الأفراد والجماعات، وماهي إلا علامات ضرورية لقيام العلاقات الإجتماعية[26].كما نجد أن "رويس"قبل أن يقوم بتفسير الطبيعة، وضع أو لا مفهوما مثاليا للوجود أو ما أطلق عليه المفهوم الرابع للوجود، ومنه وضع تفسير للطبيعة يتسق مع هذا المفهوم المثالي، وكأنه يبرهن على أن الفلسفة المثالية قادرة على وضع فلسفة للطبيعة.

د – في مفهوم الإنسان

نلاحظ أن نزعة رويس تاليفية وبالتحديد توفيقية وتظهر واضحة في نظريته حول النفس خاصة في التوفيق بين المثالية الألمانية والبرغماتية، فيتوافق مع شلينغ" في ضرورة وجود الآخرين والوعي الاجتماعي والأنا التجريبي والانا المثالي في اتساق مفهوم الأنا مع مفهوم الطبيعة،

ويقترب من "أنا فيشته الأخلاقي"وإن كان الأنا ليس مبدأ الوجود ويسير في التيار الهيجلي في إظهار مقولة التباين كمقولة أساسية لوحدة الأنا، ويخلق الفرد ذاته باستمرار فالأنا هدف.من هنا يتسق الفكر البرغماتي بصورة عامة[27].كما إن تفسير نشأة النفس ماهي إلا النظرة الأفلاطونية في صياغة جديدة، فالنفس الحاضرة أو اللحظية، ليس هي الأنا الحقة أو مثل أعلى، وما ذلك إلا تفسير جديد لعالم المثل الأفلاطوني، كما نلتمس حضور الفكر الصوفي الأفلاطوني واضحا، فإذا كان ينتقل في جدله من عالم الحس إلى عالم المثل، فإن"رويس"ينتقل من الأنا التجريبي إلى الأنا المثالي، أي من الوعي الذاتي إلى الوعي المثالي فلم يستطع رويس" إن يتخلص من تراث المثالية الأفلاطونية.

وإذا كان"رويس"من أنصار المثالية الذاتية التي ترد كل شيء للذات، إلا أنه يقرر أن المثالية المطلقة هي أساس مذهبه، ولذلك يبدو أن"رويس" كان يحاول التوفيق بين المثالية الذاتية والمثالية المطلقة، فلا يضحي بالأنا من أجل المطلق أو العكس.إلا أنه من الواضح القول أن نظرية "رويس" في النفس الإنسانية، جاءت مفسرة ومدافعة عن المثالية، أكثر من كونها تحقق للإنسان غاياته المباشرة والعملية، ويمكننا القول أنها جاءت ضد فكر معين، أي فكر ضد فكر، الأمر الذي جعلها بعيدة عن الحياة العملية والواقع، فهي نظرية أقل ما يقال عنها أنها تصلح لفلسفة دينية هذا أولا، أما ثانيا فهي نظرية تدافع عن المثالية، أمام هجوم فلاسفة العمل، خاصة لما وجهه"وليم جيمس" من نقد لأصحاب المذهب الو احدي، أو لأنصار المطلق من المثاليين[28]، إلا أننا نجد أن رويس" سار في تيار الفكر المعاصر الذي يرفض "جوهرية النفس"ويرمي لإلغاء الهوة بين النفس والبدن، واقترب من البرغماتية في اعتبار النفس هدف، وأخيرا وبعد هذا العرض لمجالات التوفيق بين المثالية والبرغماتية يتضح لنا إن رويس كان برغماتي في ثوب مثالي أو كما وصفه"ر، ب، بيري"(Perry ،R.B) بقوله "إن رويس متجذر الحياة الأمريكية أعار فلسفته إلى

صناع يتبعون الموضة الأوربية القارية"[29].

ثالثا: التوفيق بين الفلسفة والدين

أ–في مجال الأخلاق

يتضح الاتجاه نحو التوفيق بين الدين والفلسفة في تناول المشكلات الأخلاقية الفلسفية، وكأنها مشكلات دينية، فتفسير رويس لمشكلة العدالة الإلهية، ولوجود الشر، ورغم استخدامه لمصطلح "ليبنز" الفلسفي عن العدالة الإلهية، فإن رويس يقصد به معالجة مسالة دينية، إلا أن معالجته لمشكلة الشر جاء مدخلا دينيا، يفترض الإيمان قبل العقل، أو"أومن ثم أعقل"، فنجده قد اختار مشكلة النبي أيوب عليه السلام مثلا في مناقشة الشرور غير المستحقة في العالم. حيث يتم نقل التساؤل من المستوى الخاص إلى المستوى العام، حتى يتم صبغ التساؤل بصبغة فلسفية، فحتى التساؤل في حد ذاته يفترض الإيمان المسبق بوجود خالق للكون، كما نجد أن رويس" لم يناقش مسالة العدل الإلهي كما فعل"كانط"، من حيث العلاقة بين حرية الذات الأخلاقية وخضوعها لمبدأ الواجب،بل تناولها بمنظور ديني أي من حيث علاقة الله بالإنسان.كما يظهر الاتجاه الديني في الأخلاق في اعتبار "البصيرة الخلقية" بداية "للنور الخلقي"، ويظهر الحدس الخلقي، ويقدم للوعي المثل الأعلى، الذي يفض صراع المثل العليا من هنا يصبح المظهر المفاجئ للبصيرة الدينية، شبيها بمظهر الوحي عبر التاريخ كوسيلة للخلاص والتطهر، وانتقال العالم من الظلام إلى النور ومن الشكوك إلى اليقين[30].

ومما يؤكد هذا التوفيق الفلسفي بين الفلسفة والدين، هو أن فلسفة "رويس" عالجت موضوعات شكلت إشكالية لكل من الفلسفة والدين، وبوجه خاص الدين المسيحي، فلقد نتج عن فلسفة "كانط" النقدية أن أصبحت فكرة الله والنفس وحرية الإنسان وخلود النفس، من مسلمات أو مصادرات العقل العملي فقط، وخارج حدود العقل النظري الأمر الذي شكل إشكالا كبيرا للديانة المسيحية، والتي تأسست على هذه الأفكار، وجاءت الفلسفات المثالية بعد كانط" تعالج المشكلات الفلسفية التي نتجت عن فلسفته، فردت كل شيء للانا كما فعل فيشته، ووحدت الأنا واللاأنا كما هي فلسفة "شلينغ"، وجعلت المطلق حاويا لكل شيء كما عند "هيغل". فقالت بالمثالية الواحدية، ووجدت المسيحية في مثل هذه المثالية القائمة على الوعي بالذات، وتأكيد فكرة الله دعما لأفكارها وهي في العموم الأفكار التي سعى رويس" لتعديلها وفق الدين المسيحي من خلال التوفيق بين آراء الفلاسفة السابقين[31].

ب– في مجال المطلق

أما من ناحية التوفيق بين الفلسفة والدين فنجد ذالك واضحا

من حيث تصور "مفهوم الله"عند "رويس"فهو أقرب إلى تصور اللاهوت المسيحي، كما لو أن المفهوم المسيحي اكتسب صورة المعقولية، كما يظهر أيضا تجسيده لفكرة الثالوث"العقل والتجربة والإرادة"فإذا كان مفهوم المطلق الواحد عند "رويس"يعني وحدة مركبة وليس بسيطة، ومفهوم الله يجمع بين الوحدة والكثرة، فان مطلق "رويس"ما هو إلا اله المسيحية.فمفهوم الله كما جاء عند رويس"يقضي على التصور الهرمي للمجتمع والعالم، ويؤكد تلاشي الفروق بين الأفراد وحريتهم، وبالتالي جاء مفهومه عن الوضع السياسي والإجتماعي الغربي وعن الروح الأمريكية في عصره، حيث يتطلع الإنسان إلى الحرية الدينية والمسيحية[32]. كذلك يأتي مفهوم المطلق عند"رويس"أقرب لمفهوم الإنسان المثالي، أو الإنسان الكامل.فالمفهوم الإنساني لله ظهر في بداية الحضارات، حيث كان الإنسان البدائي يتصور الله مثله، فكان يقوم على التشبيه والمماثلة، "**فما يحدث في العقل الإنساني يحدث في العقل المطلق**"[33]، فربما استمد رويس"هذا التصور من الحضارات القديمة أو ما يعرف "بتشخيص الطبيعة"، أو انه قام به من اجل مسايرة التيارات الفلسفية المعاصرة له والتي كانت تعلي من قيمة الإنسان، أو أخذه من التفسيرات المسيحية التي تكسب المسيح صفات إلهية.

كما نجد أيضا أنه قدم صفة العلم على صفات المطلق كلها، لأنه إذا كانت الفلسفة روحها دينية فإن تصالحها مع العلم يعد تصالحا مع الدين، ويصبح الدين روح العلم مثلما كان روح الفلسفة فالمطلق جوهر الروح العلمية، كما أنه الضرورة المنطقية وراء كل قضايا العالم، ودليله على المطلق "بقدم العالم" ما هو إلا محاولة ليوضح كيف للفلسفة أن تصبح تعقيلا للإيمان المسيحي .فالعالم ليس مخلوقا من العدم، بل جاء تجسيدا لفكرة وإرادة أو هدف متحقق، فإذا كان العالم يعبر عن إرادة المطلق، والإرادات البشرية، فان العالم حينئذ هو عالم الله وعالم الإنسان في آن واحد، فنجد هذا التفسير مطابقا للتفسير المسيحي، ويحل لنا إشكالية "الخلق من عدم"، كما أن القول بروح العالم يعود بنا إلى الحضارات الغربية وجذورها، ويصبح مفهوم"روح العالم" يحقق التوافق بين الفلسفة والدين والعلم[34].

ج–في مجال الطبيعة

كما تظهر محاولة التوفيق بين الدين والعلم بصورة خاصة، والدين والفلسفة بصورة عامة في مفهوم الطبيعة في اعتماد"رويس"على نظريات علم النفس، وعلى الآراء الفلسفية القائمة على هذه النظريات، فكما أن للأفراد نفسا وإرادة وراء سلوكهم الظاهري، كذالك للطبيعة أيضا وعيا وإرادة وراء ظواهرها البادية والمتغيرة، فتفسير علم النفس لنمو الوعي الفردي والاجتماعي، قادر على تفسير الطبيعة والوعي الطبيعي، ومن منظور التوفيق بين الدين والعلم، يصبح علم النفس بديلا للوحي، أي يصبح الدين الروحي بدل الدين العقائدي، وهنا إعلاء كبير من قيمة الإنسان، فالفلسفة قادرة على معرفة الحقيقة الدينية، وعلم النفس قادر على تحليل أنماط الوجود والطبيعة والمطلق[35].

كما أن"رويس"جعل للطبيعة وجهها الروحي أي المقدس، فالطبيعة ليس صماء أو جمادا، أصم أو ثابت.بل يراها هو كائنا حيا لها جانبها العقلي والشعوري، وهو نفس الموقف المسيحي من الطبيعة أو العالم، أو كما نجده في "سفر التكوين" و"سفر الخروج "و"سفر الامتثال"، فالطبيعة من خلق الله، ولها أعماق كامنة ورائها، والوصول إليه يكون أما بالعقل أو التصوف، ومن هنا يحاول"رويس" إن يقضي على أية تناقض بين المسيحية والعلم.كما يقضي أيضا على إشكالية العلاقة بين النظريات العلمية والعقيدة المسيحية، كما أن إثبات"رويس" بأن هناك وعي للطبيعة يختفي ورائها، ماهو إلا صورة من الأدلة اللاهوتية التقليدية على وجود الله، أي الانتقال من إثبات وجود الطبيعة إلى إثبات وجود الله، وهذا ما نجده في رسائل "القديس بولس"[36].

د– في مفهوم الإنسان

أما في مفهوم النفس وبالضبط في القول بأن الأنا لا يستمد تفرده وحريته إلا من خلال علاقته بالمطلق ولا يتحقق الأنا الحق إلا في الأبدية، فيكون هنا قد حول الأنا إلى مفهوم ديني وهي إحدى صور التوفيق بين الفلسفة والدين[37].كما أنه اعتمد على المنطق كمحور للتوفيق، بين علم النفس وعلم الطبيعة، وبين تطور الوعي الذاتي وتطور الكائنات، وكأن التوفيق غاية فلسفية في حد ذاته، أما عن علاقة نظرية النفس مع النظرة المسيحية للنفس الإنسانية، فنجدها متسقة تماما، بل وتقدم حلولا لبعض المشكلات المسيحية، فنجد أن مفهوم المطلق ومفهوم الطبيعة يقدمان حلا لإشكالية فكرة "الخطيئة الأولى" و"فكرة الخلق"، والطبيعة المزدوجة للمسيح، والتثليث، فيسير في تيار"الكانطيين الجدد" في محاولة منه لإبقاء على العناصر الإيمانية المسيحية والتغيير في مفاهيمها فقط، كما يأتي مفهوم الأنا عنده متسقا مع تأويله الفلسفي للدين

المسيحي، كما يتسق تفسيره لنشأة النفوس من كيانات سابقة مع تفسير المسيحية وبذلك يتجنب إشكالية الخلق من عدم، وهذا ما يوضح تغلغل الإيمان المسيحي في فكر"رويس"، كما يتفق رويس" مع تعاليم المسيح وبالضبط في الإعلاء من قيمة الروح الإنسانية فتقول المسيحية"الروح لؤلؤة وكنز في العقل يجب البحث عنه"، ويعبر رويس عن نفس هذه الروح بقوله "**إن كل إنسان هدف فريد للذات الإلهي**"[38].

وبعد هذا العرض لمجالات التوفيق بين الدين والفلسفة وكذا العلم فلقد جاءت هذه المجالات معبرة عن روح التوفيق، وإن كان من الواضح أن التوفيق قد جاء لصالح الدين بوجه عام، وللدين المسيحي بوجه خاص، حيث يثبت هذا الرأي رويس نفسه بقوله "**أن تحاول البشرية التوفيق بين العلم والدين، فهذا ممكن جدا، أما أن تحاول التوفيق بين الدين والأخلاق فلا يمكن ذلك إلا بجذب الاثنين معا نحو شواطئ محيط الزمان الغامض واللانهائي، ثم إغراقهما في أعماقه**"[39]. أي انه بإمكاننا القول أيضا أن "رويس" كان مؤمننا قبل أن يكون فيلسوفا، ولم يبتعد عن روح الإيمان المسيحي، بالرغم من دعوته إلى الدين الطبيعي أو دين المثالية وكأن"رويس" يخاطبنا قائلا إن هذا الدين المثالي ماهو إلا تعبير مباشر عن روح الديانة المسيحية.

رابعا:نقد وتقييم

إن النقد الذي نوجهه للفلسفة الرويسية هو النقد الذي وجه سابقا إلى هيغل الهغليين بصفة عامة، فلو أمعنا النظر إليه ا لوجدنا أنها فلسفلة تنزع إلى النسق المنغلق خاصة ما نجده في الأنساق النظامية في المنطق الرويسي، كما أنها ألبست لكل عقل جبة المطلق لتفسير المسيحية من خلال التأويل عنده، وتحويل الفلسفة إلى لوح محفوظ من خلال فلسفة الولاء والولاء للولاء، كما أنها عقلت كل ركن من أركان الوجود، وهذا من خلال المفهوم المثالي للوجود الذي أعلنه "رويس".

إن العودة إلى المذاهب التقليدية الفلسفية، بعد أن ولى عصر المذهبية ما هو إلا محاولة من "رويس" يؤكد فيها قدرة الفلسفة المثالية على مواجهة إشكاليات ومتطلبات العصر.وربما يكون "رويس" قد حاول تقديم دين جديد، يحقق مطالب المواطن الأمريكي، ويشبع شعوره الديني، خاصة بعد الحرب الأهلية الأمريكية، وبالتالي يحافظ على الوحدة ويحقق التصالح بين أفراد المجتمع الأمريكي، وبالتالي يصبح"رويس"الفيلسوف المعبر عن الروح الدينية والأخلاقية للمجتمع الأمريكي، أو أن رويس" أراد بهذا التوفيق وإحياء البرهنة على وجود الله، إن يقدم لنا الروح المسيحية في صورة فلسفية، بعد أن عانت من فقدان الثقة في عصره، بسبب الحروب وتطور العلم، وظهور النظرية "الداروينية"، وانتشار الروح العلمية، كما إن اختفاء الدين في تلك الفترة لا يؤثر على نظم المجتمع الاقتصادية والسياسية وهذا هو التفسير الأقرب للمنطق.فانتشار عدم الثقة بين الأديان يؤدي ظهور تيارات فكرية تطالب بالعودة إليه مثل تيار الهيجلية الجديدة الذي عادا ممثلا في فلسفة رويس". إلا أن الدارس لكتاب"مشكلة المسيحية"لجوزيا رويس" يظهر له جليا أن هذا التوفيق ما هو إلا محاولة لتأويل المسيحية تأويلا يجعلها دينا مقنعا لإنسان القرن العشرين[40]، والحقيقة كما يرى المفكر حسن حنفي أن زمن البراهين قد انتهى سواء كان دينا إنسانيا أم إلهيا[41].

كما نجد أن جيمس قدم نقدا لاذعا لتلميذه رويس، فقد جاء وليم جيمس ورأى أن الدين السائد في الأوساط الفلسفية هو ماراه جرين في انجلترا ورويس في أمريكا، واستنتج أنهما أرادا تخليص الدين من الوجدانيات الفردية من جهة، ومن العقائدي المنزلة من جهة أخرى، فأقاما الدين على أساس موضوعي، أي على أسس عقلية، كما إن القول بالمطلق متضمن في القول بالله. من هنا رأى "جيمس" إن هذا النوع من الفلسفة الدينية التي تعتمد على المنطق في برهانها، لم تؤد الغرض المقصود منها، فهي لم تقم دينا جديدا كما أنها لم تقر عقائد أخرى لأن الذهن في رأيه ليس وسيلة لإقرار العقيدة الدينية، بل ذلك يعتمد على الغريزة والوجدان وما دور الذهن إلا تنظيم العقيدة وتصحيحها أو تنسيقها أو تعديلها أو تهذيبها، كما يرى جيمس إن أصحاب المذهب المطلق وأقوالهم، لا جدوى منها في سلوك الأفراد لان الذهن ليس هو كل الطبيعة البشرية الإنسانية، وإنما يصاحبه الوجدان والإرادة.

إن استنتاج وجود وعي للطبيعة، وأنها تجسد لوعي شامل، ما هو إلا نظرة صوفية تقول بوحدة الوجود فهي تخاطب القلب بدل العقل، وإذا كان رويس"فسر الطبيعة بمقولات منطقية محكمة "كتباين" و"المقارنة"، فإنه بذالك حول الوجود الطبيعي إلى وجود منطقي، وبالتالي انتهى إلى نظرة صورية، لكن الحقيقة تؤكد أن كلا النظرتين الصوفية والصورية لا تقدمان تفسيرا يخدم العلم أو الدراسات الموضوعية.كما أن

النتائج التي تترتب عن النظرية المنطقية التي قال بها رويس تصب الأفعال الإنسانية في قوالب جامدة وتصبح الأعمال الإنسانية أفعالا نمطية لا يحق تبديلها أو الإبداع فيها، فلا مجال لحرية الإنسان لأن لكل فعل مكان في السلسلة وتصبح الحرية مقننة حيث وفق "رويس" بين الجبر والاختيار[42]، كما أن النتائج التي استفاد منها رويس هو التوفيق بين الفلسفة والدين والبرغماتية والمثالية باستعمال المنطق كأداة للتوفيق، من الواضح إن"رويس" في تعريفه للنفس سعى لحل الإشكالية الكانطية حول مفهوم الأنا، فوحد بين الأنا الذي يسلك والأنا الذي يعرف أو بين العملي والنظري، بين الأنا العارف والأخلاقي، إلا أنه لم يستطع إن يتخلص تما ما من الثنائية الكانطية فهناك الأنا التجريبي أو اللحظي والأنا المثالي فلأول حاضر والثاني غائب وبذالك تظل الثنائية متغيرة وثابتة وواضحة في مفهوم الأنا[43].

إن التفسير الذي قدمه"رويس" لنشأة النفوس الجديدة في الطبيعة، يستند إلى نظريات علم النفس، والعلم الطبيعي، وكأنها نظريات صادقة بصورة مطلقة، فكيف تكون المماثلة بين الوعي الذاتي والوعي الطبيعي إذا تغير مثل هذه النظريات العلمية، كما إن اغلب المشكلات التي عالجها ماهي إلا رد فعل ودفاع عن المطلق، وإلا كيف بإمكان الإنسان أن يكون نتاجا للطبيعة، ويتعالى عليها ويحصل على حريته والتي هي حرية نظرية أكبر منها عملية، كما نجد "رويس" قد قسم النفس إلى قسمين، الأول ظاهر وطبيعي، والثاني خفي وإلهي.أو منطقي ومثالي وكان الثاني أساس تفرد الأول وحريته، كأن "كانت" عاد من جديد، فأصبح الجانب الذي يستمد منه قيمته وكيانه عبارة عن جانب خفي، وبالتالي لن يعرف الفرد قيمته إلا في الخلود[44].

إن اعتبار "رويس" للأنا الخلقي بأنه هو الذات الحقة للفرد، وأن الأخلاق تعد المحور الأساسي لكل مجالات الحياة، ولئن كان للأخلاق حقيقة جانبها العملي، إلا أن رد كل شيء إلى الأخلاق، يعد إغراقا في التصوف، وبعد عن جوانب الحياة، كما أن المبالغة في القول بأن الخلق المستمر ماهو إلا خلق للأخلاق، يجعل من الإنسان مجرد لحظة عابرة يبحث عن ذاته فلا يجدها. كما نجد غيابا كاملا للمشكلات العملية التي تواجه الإنسان وتحط من شأنه وتهدم كيانه، كالقهر والظلم والبطالة، وأهمل أيضا"قيمة" العمل لإثبات قيمة الإنسان، حقيقة أنه قال بالتعاون، لكي يستمد الأنا حريته وتفرده إلا أن هذا التعاون جاء لخدمة المجتمع والمطلق وليس لخدمة الإنسان كفرد، أما الحرية التي تكلم عنها في حرية نظرية أكثر منها عملية، حرية مستمدة من المنطق أو الخيال، أو من قيمة غيبية صوفية. كما ندين لرويس بنظرية النظام التي كان قد تنبأ بها في مبادئ المنطق التي ستكون العلم الأساسي لفلسفة المستقبل، كا انه من بين اكتشافات رويس المرتبطة بهذه النظرية فكرته عن السلاسل اللامتناهية ونسقه، هو إسهامه الشخصي في نظرية الدلالات"لبيرس"حيث يقول أحد طلابه المتميزين يسمى "ك، إ، لويس"في هذا الصدد"**بأنه يحوي محتملات جديدة للنظام والتي لا نشكك في وجودها**"[45].

لم يكن لفلسفة رويس التأثير البالغ والمماثل للذي أحدثته فلسفات بيرس وجيمس، لكن في مقابل ذلك عرف رويس أحيانا كيف يجذب إلى الفلسفة تلاميذه من جامعة كاليفورنيا وهارفارد، وكما اعترف بعض الفلاسفة المعاصرين وهم في الغالبية مثاليون، بالجميل بالنسبة لتلاميذ رويس، نجد أيضا أن هناك من عارض البعض منهم بصراحة المثالية من أمثال سانتيانا« Santayana« ومونتاغ« montague« والحقيقة أن تلاميذ رويس" لم يتبعوا أستاذهم بدقة، وإنما اتبعوا مسائله التي دمغتها فلسفة المنطق الرياضي، ومسألة الدين.حيث قاد الأولى تلاميذه إلى الذرائعية المنطقية المنبثقة من بيرس، والثانية كانت ولا زالت مكان لقاء لكل الفلاسفة المثاليين.وأخيرا وجد رويس في "غابريل مارسيل"« gabriel marcel« أن لم يكن احد تلاميذه فواحدا من أكثر مفسريه فطنة[46]

ثبت رويس عند مرحلة "الأنا المفكر" ولم يصل إلى مرحلة "الأنا الموجود" الواقعي، ومن هنا فقد ضحى رويس بالعالم والإنسان وصولها إلى أنساق فكرية لإثبات شرعية وجود المنطق، بوصفه المنظم الكلي الشامل ومن هنا تحول المنطق بوصفه علما للمناهج إلى منظر ومؤسس لنظرية دينية تقليدية تصب في أفكار ووقائع العالم وأفعال الإنسان في أطر ثابتة تتصف بالضرورة والإطلاق وترتد في النهاية إلى نسق منظم واحد يخضع الكل له وبذلك يمكن القول أن "رويس" لم يستطع التخلص من النقيصة التي يعاني منها الفيلسوف المثالي، فلا يعتبر جوزايا رويس ناقداً بارزاً لدى دارس الفلسفة الأمريكية فقط، وإنما لكل من يبذلون محاولات جادة لحل المشكلات الرئيسية في الفلسفة، فقد ربط بين الخبرة العملية والاتجاه العملي الذي يعد سمة مميزة للفكر الأمريكي في القرن العشرين، وبين الهدف الثابت والمستمر للبحث عن وحدة أساسية تضم كل الأشياء، أدرك المعنى الصحيح للبرغماتية، وحاول تحقيقه في مذهبه الفلسفي، واضعاً في اعتباره المحافظة على موقفه النقدي، وتحقيق نوع من الموازنة بين النظرة الشاملة والكلية للأشياء، وبين تأكيد الجوانب العملية لها. حيث يعتبر رويس" قائد الحركة المثالية

الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنه إحدى المؤثرات التي تأثر بها وليم جيمس، ووصف بالرمز الخطير لفلسفة المطلق الأمر الذي جعل جيمس ينبه إليه وإلى ضرورة مواجهته ومواجهة نظرياته في العلاقات الخارجية والتعددية.

الهوامش:

1. جوزايا رويس: فيلسوف أمريكي هيغلي النزعة مثالي المذهب وهو الميتافيزيقي الأمريكي الوحيد، ولد في "crass valleg"بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة سنة 1855وهو ابن لوالدين انجليزيين عبرا القارة الأمريكية اثناء التهاقت على الذهب سنة1849، ودخل جامعة كاليفورنيا في سنة 1871، وحصل على البكالوريوس سنة 1875. كتب بحثا عن اللاهوت في مسرحية "برونيوس مقيدا"، نال به منحة من المال مكنته من تقضية عامين في ألمانيا، حيث راح يقرأ الفلاسفة الألمان وخصوصا شلينغ وشبنهور، والتحق بجامعة "جيت خن "حيث درس على يد الفيلسوف " لوتسة"، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة جونز هوبنكر، في (بلتيمور)، وكان حينها يستمع لوليم جيمس وبعض محاضراته، عين مدرسا في جامعة كاليفورنيا لبضعة أعوام، ثم أستاذ مساعد وفي 1892 صار أستاذا في نفس الجامعة (هارفاد) وشغل كرسي اللفورد للفسفة في جامعة هارفارد سنة 1914. توفي سنة 1915. من مؤلفاته محاضرات في المثالية الحديثة، الجانب الديني للفلسفة، روح الفلسفة الحديثة، مفهوم الله، دراسات في الخير والشر، العالم والفرد،ج1،ج2، فلسفة الولاء، وليم جيمس وفلسفة الحياة، مصادر البصيرة الدينية،مشكلة المسيحية ج1،ج2،مفهوم الله، ودراسات أخرى، أنظر عبد الرحمان بدوي الموسوعة الفلسفية، ص 544.
2. جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة ت احمد الانصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2009، ص 04.
3. أحمد الأنصاري فلسفة الدين عند جوزيا رويس مركز الكتاب للنشر مصر 2004جيرار ديلودال: الفلسفة الأمريكية ، ص 318.
4. المرجع انفسه، ص 322.
5. المرجع السابق، ص 325.
6. جوزايا رويس: العالم والفرد ج2، ت أحمد الانصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008، ص 126.
7. احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 333.
8. Jasiah royce: lectures on modern idialisme(1865) ،new hacrem end landon university ،1919,p312
9. جيرارد دبليو دال: الفلسفة الأمريكية، ت جور تورة، إلهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،د،ت،ط ، ص 260.
10. احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 358.
11. المرجه نفسه، ص 351.
12. جوزايا رويس: العالم والفرد، ج2، مصدر سابق، ص 156.
13. احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 356.
14. المرجع نفسه، ص 377.
15. المرجع نفسه، ص 380.
16. المرجع السابق، ص 381-383.
17. جوزايا رويس: العالم والفرد ج2، مصدر سابق، ص 175.
18. احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق ص 384.
19. جوزايا رويس: العالم والفرد ج2، مصدر سابق، ص 176.
20. احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق ص386
21. المرجع نفسه، ص 390-391.
22. المرجع نفسه، ص 200.
23. المرجع السابق، ص 339.
24. المرجع نفسه، ص 345.
25. المرجع السابق، ص 367.
26. المرجع نفسه، ص 369.
27. المرجع السابق، ص 382.
28. المرجع نفسه، ص 400-404.
29. جيرار ديلول: الفلسفة الاميركية، مرجع سابق، ص 249.
30. احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق، ص 202
31. المرجع نفسه، ص 206.
32. المرجع نفسه، ص 342.
33. المرجع السابق، ص 343.
34. المرجع نفسه، ص 344.
35. المرجع نفسه، ص 370- 372.

36. المرجع السابق، ص 373-375.
37. المرجع نفسه، ص 382.
38. المرجع نفسه، ص 399-404.
39. http: //montada. echoroukonline. com/archive/index. php/t-78118. html2015-01-15
40. المرجع السابق، ص 348.
41. حسن حنفي: دراسات اسلامية، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة 1981، ص12.
42. المرجع السابق، ص 21.
43. احمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مرجع سابق ص 382.
44. المرجع نفسه، ص: 405.
45. جيرار ديلودال: الفلسفة الأمريكية، مرجع سابق، ص 255.
46. Gabriel Marcel: la Metaphysique de Royce(paris: Aubier. edition montaigne. 1945). p 130